تجربة تطبيقية

نحو تنمية وعي الطلبة بأنفسهم
تجربة تعاونية تطبيقية من مدرسة الإنجيلية*

عايدة شنارة وعبير خوري ودعاء جبر

مع بداية الفصل الدراسي الثاني، أي في كانون الثاني ٢٠٠٥، توجهت عبير خوري، معلمة مادة العلوم في مدرسة الإنجيلية إلى مركز القطّان للبحث والتطوير التربوي قائلة "قرأت ما نشر في مجلة **رؤى تربوية** عن "**دفتر أنا**"، فشعرت برغبة لأن أخوض تجربة مماثلة مع طلابي، فربما أتمكن من زيادة وعي الطلبة بأنفسهم وبمشاعرهم وبطريقة تفكيرهم، فأنا أشعر أن طلابي مدللون بشكل يضر بهم، فهم لا يشعرون بقيمة ما يملكون، ولا بقيمة الأشياء التي يوفرها أهلهم لهم، وبدلاً من أن يحترموا بعضهم، أجدهم لا يتفاهمون وكثيري الشكوى والتذمر من زملائهم". وعلى الرغم من أن عبير عبّرت بوضوح عن هذه المشكلة في صفها، فإننا نجد أن الأطفال كثيراً ما يتشاجرون ويهدأون ويلعبون ويتصايحون في كل الصفوف، وحتى في البيوت نجد أن هذا الوضع مألوف جداً. وكثيرا ما تلجأ المعلمة إلى الترغيب بالحلوى وإلى الوعود بالجولات والرحلات وحتى بالعلامات، وقد تلجأ إلى الترهيب بالحرمان من الأنشطة أو بالعقاب، لتكسب هدوء الطلبة وتثنيهم عن كثرة الخلاف والشكوى والتذمر.

وقد ينجح الترغيب والترهيب، إلا أن هذه الأساليب تشكل دوافع خارجية بالنسبة للأطفال لكي يحسنوا التصرف ويبتعدوا عن مضايقة زملائهم، لكن ربما يكون من المفيد تشجيع الأطفال على فهم أنفسهم وأفكارهم ومشاعرهم، وأن يفهموا كيف يفكر أصحابهم وما يسعدهم وما يضايقهم، لعل هذا الفهم يحسّن من مهارات التواصل بينهم ويضمن بيئة أكثر هدوءاً ومحبة.

حتى نتمكن من مساعدة الأطفال على فهم أنفسهم وزملائهم: كيف يفكرون؟ وماذا يشعرون؟ بدأنا معاً بسلسلة من الحصص لمساعدة الأطفال على فهم أنفسهم والآخرين، ولقد أعاننا على ذلك إمكانية توظيف حصص النشاط الحر وهي حصص مشتركة بين المعلمتين عبير خوري وعايدة شنّارة، ولقد استعدت المعلمتان لاستثمار هذه الحصص، فخططنا لثماني حصص متسلسلة تشمل: فهم مشاعرنا ومشاعر الآخرين (مشاعر الفرح، والغضب، والخوف، والغيرة، والحزن)، وكذلك تنمية مهارة الإصغاء (من خلال لعبة الهاتف المكسور، ولعبة "هل سمعت الرسالة الصحيحة؟").

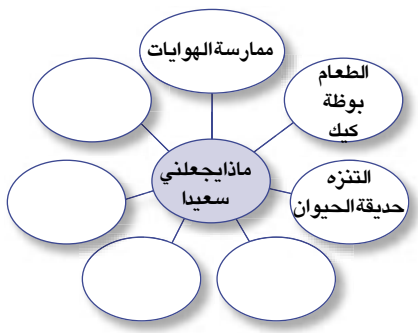

أولاً- التفكير بالمشاعر

كان الهدف من هذه الحصص أن يفكر الأطفال بمشاعرهم وبمشاعر الآخرين ليتوصلوا إلى أن الأفراد المختلفين قد يملكون مشاعر مختلفة حول الموقف نفسه، أو الشيء نفسه، أو الحادثة نفسها.

بدأت المعلمة بتهيئة الهدف وتوضيحه من خلال قولها "سنعرف اليوم لماذا يشعر الناس بالسعادة، وما هي الأشياء التي تجعلهم سعداء". ثم حاولت توضيح المعاني من خلال طلب كلمات معناها مرادف لكلمة سعيد، وسجلت المعلمة قائمة الكلمات ذات العلاقة التي اقترحها الطلبة على اللوح، وناقشت دلالات هذه الكلمات. ثم أدارت المعلمة جلسة من العصف الفكري، فقد طلبت من الأطفال أن يذكروا أشياء تجعلهم سعداء، وكان الهدف أن يعددوا أشياء مختلفة، وقامت المعلمة بتصنيف إجابات الأطفال إلى مجموعات مثلاً:

- شراء شيء جديد: دراجة، قميص، لعبة....
- الذهاب إلى مكان ما: متنزه، حديقة الحيوان....
- تناول الطعام: أكل بوظة، كعكة، ....
- وهكذا....

وقد كان من المهم للمعلمة تشجيع الأطفال على إعطاء أفكار جديدة، فقد كانت تقول "أكل الحلويات والبيتزا كلها طعام، هل يمكن لأحدكم أن يفكر بشيء ليس طعاماً يجعله سعيداً؟". وقامت المعلمة بتكوين وردة الكلمات وحولها اقتراحات الطلبة مصنفة، كما قام الطلبة بمساعدة المعلمة بعمل لوحة تعبر عن الأشياء المختلفة التي تسعدهم.

٢- يعطى الطلبة ورقة عمل تحتوي مجموعة من الأسئلة تضم تعليقاً على الاختبار والنتيجة التي حصل عليها الطالب من الاختبار.
٣- بعد مضي وقت النشاط تجمع الأوراق ويتم مراجعتها من قبل المعلم، وتتم مناقشة بعض الطلبة في ما كتب في الأوراق عند لزوم الحاجة لذلك.

الأسئلة المفتاحية في ورقة العمل:

١- ما درجتك في الاختبار؟
٢- ما مدى رضاك عن هذه الدرجة؟
٣- ما سبب حصولك على هذه الدرجة؟
٤- هل بإمكانك تحسين درجتك في الاختبار؟
٥- خطوات سأقوم بها لتحسين درجتي في الاختبار القادم.

إعداد: أرب عبد الله
ليانا جابر ومهى قرعان باحثتان في مركز القطان

الهوامش:

١ تمت ترجمة الفصول الخاصة بهذه المستويات في الأعداد ١١-١٥ من مجلة رؤى تربوية.
٢ الأنشطة المرفقة بصورتها الأولية، قبل مرحلة التطبيق، ويمكن إجراء بعض التعديلات عليها بعد أن يتم تطبيقها في المدارس، في العام الدراسي ٢٠٠٥/٢٠٠٦.

المراجع:

- Cummings, C. (1998). Professional Inquiry Kit: Curriculum Integration, Extending Integration to Applied Learning and Emotional Intelligence. ASCD, Alexandria, Va ,USA.
- Doty, G. (2001). Fostering Emotional Intelligence in K–8 Students: Simple Strategies and Ready to use Activities. Corwin Press, INC.

بعد ذلك سألت المعلمة عن أنشطة أو أشياء يختلف شعور الأطفال حولها، مثلاً: هل تحبون ركوب السكوتر؟ من يجعله ركوب السكوتر سعيداً؟ ليرفع يده. وكانت المعلمة إذا رفع الطلاب كلهم أيديهم تقول المعلمة: آه، هذا يجعلكم كلكم سعداء. وتنتقل إلى شيء آخر ينقسم الأطفال حوله ويختلفون مثلاً مشاهدة الصور المتحركة، والرسم، وألعاب الكمبيوتر، ولعب كرة القدم ... الخ، فمثلاً عندما سألت المعلمة الأطفال عن شعورهم عندما يكون هناك عطلة مفاجئة أو سبب يجعلهم يغيبون عن المدرسة، انقسم الطلاب إلى من يشعر بالسعادة ومن يشعر بالحزن، وتبادلوا اللوم لأنهم لا يشعرون بالطريقة نفسها، وهكذا طرحت المعلمة العديد من الأسئلة حتى أوصلت الطلبة إلى تحقيق الهدف، وهو أن يدرك الأطفال أن مشاعرهم قد تختلف حول الشيء نفسه.

أخيرا كتبت المعلمة قائمة ببعض الأشخاص، وطلبت من الأطفال تقديم اقتراحات مختلفة تسعد كل شخص. ولتحقيق الفائدة، نادت المعلمة على الطلبة بشكل فردي لاقتراح سبب يسعد شخصاً تختاره المعلمة من القائمة المقترحة التي شملت: أم، وأب، وطفل عمره ٤ سنوات، وطفلة عمرها سنتان، وجد، ومعلمة، وطفل عمرة ٩ سنوات. ثم سألت المعلمة عن سبب أو شيء يمكن أن يسعد شخصين أو ثلاثة من القائمة. وفي نهاية الحصة، شكّل كل طالب وردة للكلمات، يذكر فيها ٤-٦ أسباب تجعله سعيداً.

بعد ذلك تم تخصيص حصة لمناقشة مشاعر الغضب، وتمت إدارتها بأسلوب الحصة السابقة نفسه، فقد بدأت المعلمة بالتهيئة: "سنعرف اليوم لماذا يشعر الناس بالغضب، وما هي الأشياء التي تجعلهم غاضبين". ثم طلبت منهم مرادفات لكلمة غاضب، وسألتهم عن الأشياء التي تشعرهم بالغضب، وصنفت هذه الأشياء في مجموعات شملت:

- أن يؤذيني أحدهم: يدفعني، يضربني، يشتمني ....
- أن يأخذ أحد مني شيئاً رغماً عني، يستعيره ولا يرجعه أو يسرقه منّي.
- أن يذكرونني بسوء، كأن يتهمونني بالغش، أو يهزأون من ملابسي أو تصرفاتي.

ثم سألت المعلمة عن أنشطة أو أشياء يختلف شعور الأطفال حولها، مثلاً: هل تغضبون عندما يهملك أحد أصدقائك؟ من يجعله ذلك غاضباً ليرفع يده. وكانت المعلمة إذا رفع الطلاب كلهم أيديهم تقول المعلمة (آه، هذا يجعلكم كلكم غاضبين)، وتنتقل إلى شيء آخر ينقسم الأطفال حوله ويختلفون، مثلاً أن لا يرد عليه أحد الأصدقاء التحية، أن يتهامس اثنان دون أن يشاركوه، أن لا يدعوه أحد ما إلى حفلة عيد ميلاده ... الخ. واستمرت المعلمة بطرح العديد من الأسئلة حتى أدرك الأطفال أن مشاعرهم تختلف حول الشيء نفسه. وأخيراً سجّل كل طفل بعض الأسباب التي تجعله غاضباً.

ثم كرست المعلمة بعد ذلك حصة كان الهدف منها أن يدرك الطلبة معاني العديد من المشاعر المختلفة هي: خائف، وغيور، وحزين. وقد بدأت بتلخيص ما تعلمه الطلاب سابقاً عن معنى كلمة حزين وكلمة غاضب، وطلبت من الأطفال قراءة بعض الأشياء التي تفرحهم أو تغضبهم من دفاترهم، ثم قدمت المعلمة الهدف من الدرس، "سنتعلم اليوم عن مشاعر أخرى هي حزين، وخائف، وغيور". سألت المعلمة الأطفال من يبين لي معنى حزين؟ من يبين لي معنى خائف؟ من يبين لي معنى غيور؟ أدارت المعلمة النقاش، ووضحت وأعادت ما قاله الطلاب. ثم قالت المعلمة سوف نلعب لعبة هيا نخمّن:

١. لينا طالبة في الصف الرابع، وهي حزينة اليوم؟ ما هي الأسباب التي قد تكون أحزنتها؟
٢. سامر عمره ٥ سنوات، وهو يشعر بالخوف، ما الذي يشعره بالخوف؟
٣. سائد عمره ١٠ سنوات، وهو يشعر بالغيرة من صديقه أحمد، لماذا يا ترى؟

وكانت المعلمة تستغل إجابات الطلبة وتعيد صياغتها لكي توضح كيف أن المشاعر تتداخل، فقد ذكر أحد الأطفال أن لينا قد تكون حزينة بسبب وفاة أحد أقاربها، وقالت لاحقاً طفلة أخرى أن سامر ربما يخاف أن يموت عمه، فكانت المعلمة تقول "إذن لأن سامر **يحب** عمه فهو **يخاف** أن يفقده لأن هذا **سيحزنه** جداً، وهكذا فكل المشاعر تتداخل وترتبط معاً."

أدارت المعلمة النقاش وشجعت الطلبة على توضيح أمثلتهم. وطلبت منهم الكتابة في دفاترهم:

١. شيء يحزنني.
٢. شيء يخيفني.
٣. شيء يجعلني أشعر بالغيرة.

بعد هذه الحصص التي هدفت إلى أن يفهم الطلبة مشاعرهم ومشاعر الآخرين، أرادت المعلمة أن تعلم الطلبة أهمية الإصغاء لزملائهم، وكان هذا من خلال لعبة الهاتف المكسور، فقد كان الهدف من اللعبة أن يتعلم الأطفال الإصغاء باهتمام لما يقوله الآخرون، حتى يتجنبوا الفهم الخاطئ، ما يسبب مشكلات ويصعّب حلّها.

اختارت المعلمة سبعة أطفال للمشاركة بهذه اللعبة المشهورة، وأخرجتهم من الصف، ثم أخبرت الطلبة الذين بقوا في الصف رسالة قصيرة، هي "أستطيع الطيران في السماء مثل سوبرمان، وهذه ليست كذبة، ويوجد لي ١٤ يداً و١٦ عيناً". ونادت المعلمة الطلاب السبعة من خارج الصف، وأجلستهم في دائرة. ثم همست المعلمة الرسالة المتفق عليها في أذن اللاعب الأول، وهو بدوره همسها في أذن اللاعب الثاني، واللاعب الثاني همسها في أذن الثالث، وهكذا... . ثم طلبت المعلمة من اللاعب الأخير أن يخبر الصف بالرسالة التي همسها اللاعب السادس في أذنه، فكانت الرسالة هي "أستطيع الطيران فوق ١٢ جسماً". بعد ذلك اختارت المعلمة أطفالاً آخرين للمشاركة في هذه اللعبة، وطلبت من بقية الطلبة تأليف رسائل قصيرة ليتناقلها المشاركون في اللعبة، فألّف أحد الطلاب الجملة التالية: "أيّام الأسبوع سبعة نداوم منها خمسة ونعطل يومين"، وعندما تناقلها الطلاب أصبحت الجملة "سبع أيام ناقص خمس أيام تساوي اثنين". وجملة أخرى من تأليف الطلاب "سوف تعطل المدرسة بمناسبة عيد الفصح من صباح الخميس إلى مساء الثلاثاء" أصبحت "يوم الخميس رح ييجي عيد الميلاد الشريف".

بعد ذلك سألت المعلمة اللاعبين، ماذا نستفيد من هذه اللعبة؟ ما الذي يمكن أن يحدث إن لم تصغ جيداً لما يقوله لك الآخرون؟ إذا أخبرك أحد ما بأن شخصاً قال شيئاً، هل من المهم أن تعرف ما الذي قاله الشخص بنفسك، لماذا؟ كيف يمكن لك أن تعرف ما الذي قاله الشخص حقاً؟ هل يتذكر أحدكم أن شخصاً أخبره أن أحداً ما قال شيئاً وتبيّن بعد ذلك أن هذا الشيء غير صحيح؟ ماذا حدث في حينها؟ واستمر النقاش حتى أدرك الطلبة أننا كثيراً ما نلتقط الرسالة الخاطئة، وأننا قد نسيء فهم الرسالة التي تصل إلينا، وأنه لا بد من الإصغاء باهتمام للآخرين حتى نفهم ما يريدون قوله.

بعد لعبة الهاتف المكسور قدّمت المعلمة لعبة "هل سمعت الرسالة الصحيحة؟"، وكان الهدف من اللعبة أن تعزز المعلمة لدى الطلبة ما تعلموه في الفعالية السابقة حول

الإصغاء باهتمام لما يقوله الآخرين، لكي يتجنبوا الفهم الخاطئ، ما قد يسبب بعض الإشكالات. أخبرت المعلمة الطلاب بأنهم سيشاهدون مقطعاً تمثيلياً صغيراً، وبأنها ستحتاج إلى ثلاثة أطفال للتمثيل. اختارت المعلمة ثلاثة أولاد ولعبت بنفسها دور المعلمة.[1] فيما يلي المقطع:

رائد: هل تعرف إسماعيل أني لا أحب هذه الجدران الصفراء، ليست جميلة وتشعرني بالغثيان.

إسماعيل (لوليد): رائد لا يعجبه قميصك، إنّه أصفر ويجعله يشعر بالغثيان!

وليد: سوف يرى، سأجعله يندم على تعليقه هذا!

المعلمة: لماذا أنت غاضب، وليد؟

وليد: رائد لا يعجبه قميصي.

المعلمة: وكيف عرفت ذلك؟

وليد: أخبرني إسماعيل بذلك.

المعلمة: هل تذكر لعبة الهاتف المكسور التي جربناها المرّة الماضية؟

وليد: نعم.

المعلمة: وهل أنت متأكد من أنك وصلتك الرسالة كاملة كما قالها رائد؟

وليد: هذا ما قاله إسماعيل.

المعلمة: وكيف تتأكد من أن إسماعيل نقل لك الرسالة الصحيحة وأخبرك بما قاله رائد بدقة؟

وليد: أسأل رائد.

وليد (لرائد): هل أخبرت إسماعيل بأنك لا تحب قميصي؟

رائد: ماذا؟ ولماذا أقول مثل هذا الشيء؟

وليد: لأن اللون الأصفر يشعرك بالغثيان.

رائد: كلا ليس هذا ما قلته، الجدران الصفراء تمرضني!

إسماعيل: أنا آسف، اعتقدت أن اللون الأصفر هو الذي يشعرك بالغثيان.

١. بعد عرض المقطع سألت المعلمة الطلبة ما يلي:

- ماذا قال رائد؟ ماذا كان رأيه؟
- ما هي الرسالة التي نقلها إسماعيل لوليد؟ (سألت المعلمة الطالب الذي لعب دور إسماعيل) ماذا كان يمكن أن يحدث حينما نقلت لوليد جزءاً مما قاله رائد؟
- (سألت المعلمة الطالب الذي لعب دور وليد) كيف كان شعورك قبل أن تستمع إلى كل ما قاله رائد؟ وكيف كان شعورك الآن؟

١. سألت المعلمة الصف كلّه: ماذا نتعلم من هذا المقطع؟

كيف أمكن تجنب المشكلة؟

٢. طلبت المعلمة من الطلاب (في مجموعات رباعية) تأليف مقطع مماثل يوضح أهمية الإصغاء وفهم الرسالة كاملة، وكتابة المقطع، ومن ثمّ تمثيله والتعليق عليه.

تقول المعلمة أن الطلاب أحبوا اللعبة كثيراً، وتفاعلوا مع التمثيل وأدركوا كيف يمكن أن يتشكل سوء الفهم دون قصد، ثم تمكن الطلاب في مجموعات معينة أن يكتبوا نصاً مشابهاً للنص الأصلي وقد مثلوه في جو من المرح.

وفيما يلي النص الذي كتبه الطلاب:

ياسين: أنا لا أحب ساحة المدرسة لأنها ليست نظيفة.

خليل: منال، ياسين لا يحب حذاءك لأنه ليس نظيفاً.

منال: سيرى عقابه.

منال: أمي، ياسين لا يحب حذائي لأنه ليس نظيفاً.

الأم: وهل أنت متأكدة من ذلك؟

منال: سوف أذهب إليه وأسأله.

منال: ياسين، هل صحيح أنك لا تحب حذائي، وأنك قلت أنه ليس نظيفاً.

ياسين، لا، لا، من قال ذلك؟

منال: خليل قال لي.

ياسين: ربما نقل لك الرسالة خاطئة.

منال، آه، يمكن.

خليل: أنا آسف، لقد فهمت الأمر خطأ.

أثناء مناقشة المقطع بعد تمثيله مع الطلبة، توصل الأطفال إلى أنّه علينا أن نسمع ما يقوله الآخرون جيداً، وإذا طلب منّا إعادة ما قيل علينا أن ننقله بدقة، وكما سمعناه، وأن حسن الإصغاء شيء مهم لتجنب الفهم الخاطئ، كذلك توصلوا إلى أنه يجب عدم نقل الرسالة إن لم نكن متأكدين منها، وأنه لا بد من التأكد مما نسمعه قبل أن نحكم عليه.

لقد احتفظ الطلبة بدفاتر خاصة بهم، حضّروها بأنفسهم في حصة الفن، وسجلوا فيها مشاعرهم وما تعلموه في هذه الحصص، وتمّ عرض هذه الدفاتر في المعرض المدرسي في نهاية السنة الدراسية. وفي المعرض عندما سئل الطلبة عن هذه الدفاتر والأشياء التي تعلموها، قال أحدهم: لقد تعلمت أن لكل منّا الأسباب الخاصة التي تجعله سعيداً، وغاضبا، وحزينا أو خائفاً، وأن بعض الأشياء التي تسعد أو تغضب غيري قد لا تسعدني أو تغضبني أو تعني لي شيئاً، وأنه علينا أن نصغي للآخرين حتى نفهم ما يقولونه ولا نسيء فهمهم.

ترى المعلمات عبير وعايدة أن هذا العمل كان جيداً ومفيداً، فمن خلال النقاش وصراحة الطلاب في إجاباتهم وعفويتهم حول المشاعر والأفكار، أصبحت علاقة المعلمات بالطلبة أقوى، وأصبح الطلبة يحاولون الإصغاء للآخرين أكثر، وأدركوا أن لكل منهم أفكاره ومشاعره التي يتميز بها، وأنه على الجميع أن يحترمها. إلا أن ضيق الوقت المخصص لمثل هذه المواضيع يحدد من الأثر المرجو، ولا بد من التركيز على مهارات التأمل في المشاعر، وإجادة فن الإصغاء في المواضيع والمراحل كافة.

عايدة شنارة وعبير خوري – معلمتان في المدرسة الإنجيلية / رام الله
دعاء جبر – باحثة في مركز القطّان

الهوامش:

* قامت الباحثة دعاء جبر بالتعاون مع عايدة شنارة وعبير خوري في كتابة هذه المقالة التي تصف تجربة المعلمتين، وكانت الباحثة تشرف باستمرار على تطور هذه التجربة.

[1] عملت المعلمة نسخة مصوّرة عن المقطع لكل طالب يشارك في التمثيل، ووضعت خطوطاً على الجزء الذي سيقرأه كل طالب.

المراجع:

■ Shure, M. (2000), Raising a thinking child workbook/ the I Can Problem Solve Parenting Approach. Research Press Champaign, IL 61822.